obeikandl.com

طلال شكر

اعتصام الضرائب العقارية

طريق الاستقلال النقابى

obeikandl.com

فى عام ١٨٨٣ أنشئت مصلحة الضرائب العقارية، وبهذا تكون أقدم جهاز ضريبى فى مصر. ينتشر هذا الجهاز فى كل ربوع مصر فبالإضافة إلى المدن يغطى حوالى ٦ آلاف قرية ونجع تابعين لتسعة وعشرين مديرية، يتركز عملها بشكل أساسى حول جباية الضرائب على الأطيان الزراعية فى الريف، وعلى العقارات المبنية والملاهى وظلت المصلحة بجميع موظفيها والعاملين بها تابعة لوزارة المالية حتى صدور قرارى وزير المالية ١٣٦/١٣٧/١٩٧٤ واللذين قضيا بنقل التبعية المالية والإدارية للمحليات مع الإبقاء على التبعية الفنية لوزارة المالية، وبقيت المصلحة بالقاهرة وحدها ضمن وزارة المالية، ومنذ ذلك التاريخ أدى الازدواج فى تبعية المديريات ما بين الحكم المحلى والمصلحة إلى كثير من المشاكل التى أثرت بالسلب على العمل ذاته، كما أضرت بمصالح العاملين، حيث ضاعت حقوقهم المالية ما بين المحليات والمصلحة وانخفضت دخولهم بشكل كبير مقارنة بأقرانهم فى المصالح الإيرادية الأخرى حيث كان الفرق بين أجورهم والأجور فى بقية المصالح الإيرادية الأخرى المماثلة من ١:١٠.

وقد نتج عن هذه التبعية المزدوجة مجموعة من النتائج يأتى فى مقدمتها تفكك الجهاز والفساد الذى استشرى فيه بالإضافة إلى التدهور الشديد للأحوال المالية والإدارية للموظفين، وذلك لاقتصار المزايا المالية والوظيفية على العاملين بالمصلحة بالقاهرة وعددهم ٥٠٠ موظف وعامل دون بقية العاملين المنتشرين فى ربوع مصر وعددهم ٥٥ ألف موظف وعامل موزعين على المحليات، وبينما تم حرمان الأغلبية الساحقة من الترقى بعد الدرجة الأول كان الترقى إلى الوظائف الأعلى والقيادية من نصيب هذا العدد الضئيل فى المصلحة، وأصبح استيراد القيادات يتم من المصلحة دون العاملين بالمديريات أصحاب الخبرة الأصيلة فى أعمال الضرائب العقارية، أضف ذلك وهو الأكثر غرابة ضآلة الأجور التى يحصل عليها هذا القطاع الكبير من الموظفين والعاملين فى ظل ظروف عمل سيئة،

وإمكانيات محدودة ومقار عمل أبسط ما يقال عنها إنها لا تصلح للآدميين، وقد انعكس ذلك على الأداء الوظيفى من إهمال التحصيل أو انحراف لدى البعض لاستكمال الاحتياجات الضرورية وهو الآداء السلبى للموظف حينما يشعر بالظلم والمهانة. كانت النتائج المباشرة لفصل العاملين بالمديريات عن وزارة المالية:

١-غياب الرقابة والإشراف والمتابعة وضياعها بين المحليات ووزارة المالية فأثر ذلك تأثيرا كبيرا على العمل.

٢-ضياع كل الحقوق التى يحصل عليها العاملون فى جباية المال العام وضياع حقوقهم وحيرتهم بين المحليات ووزارة المالية.

٣-توقف الترقى والنمو الوظيفى للعاملين عند الدرجة الأولى، ولم تحل الدرجات النمطية التى أنشأت بمسمى كبير (مدير عام تكرارى) المشكلة[١].

تأسيس اللجان النقابية

لم يكن العاملون بالضرائب العقارية وكافة أنواع الضرائب مدرجين فى أى تصنيف نقابى وكانوا يتبعون قسراً نقابة البنوك دون وجود منظمات نقابية داخل الضرائب العقارية وفى منتصف الثمانينيات إتجه موظفوا الضرائب العقارية إلى تشكيل لجان نقابية للدفاع عن حقوقهم، وبالرغم من أن القانون يسمح بذلك إلا أن هذه المحاولات قوبلت بحرب شرسة من الإدارة، ومن التنظيم النقابى الذى كان يضع العراقيل أمام قبول إيدع أوراق التأسيس، وشاركت القوى العاملة فى ذلك بتعطيل الإجراءات، وكانت النتيجة أن الموظفين فى المديريات السبعة وعشرين لم يستطيعوا إلا إنشاء "سبع لجان نقابية فى ٢٧ محافظة بنسبة ١٠% من العاملين فقط وقد حاولوا من خلال اللجان النقابية نقل الظلم الواقع علينا للتنظيم (النقابة العامة للبنوك

---

[١] كمال أبو عيطة. ملحمة اعتصام موظفى الضرائب العقارية. اعداد جمال عويضة مركز الدراسات الاشتراكية.

والضرائب والاعمال المالية) والمسئولين فى الدولة عبر التلغرافات والعرائض ولا من مجيب" [٢].

مؤتمر عام ١٩٩٦

انتقل العمل إلى مستوى آخر اعتمد بشكل أساسى على العاملين وكان ثمرة الجهود التنظيمية انعقاد **أول مؤتمر لموظفى الضرائب العقارية** فى ميت غمر مايو **١٩٩٦** حضره عاملين من أنحاء الجمهورية، وكان محور المؤتمر إلغاء القرار الوزارى ١٣٦ لـ ١٩٧٤، وبعد الاجتماع قام العاملون بالاتصال بأغلب أعضاء مجلس الشعب، واستطاعوا نقل قضيتهم للمجلس الذى أصدر توصية فى مايو ١٩٩٧ بإعادة تبعية العاملين بالضرائب العقارية لوزارة المالية ومساواتهم بالعاملين بديوان مصلحة الضرائب العقارية بالقاهرة، وإلغاء القرار الوزارى ١٣٦ لسنة ١٩٧٤، وأرسلت التوصية **لمجلس الوزراء للتصديق عليها فلم يستجب** لذلك، وحاولوا بطريق أخر إلهاء العاملين بتخصيص بعض المبالغ للمحافظات الغاضبة، وتوفير مخصصات للجهود غير العادية تفوق نسبة الـ ٣٠% التى يقوم العاملون بصرفها، ولجأت المحافظات إلى تصرفات فردية عن طريق المحافظين التابعين لهم، ونجح البعض منهم فى الحصول على نسبة ٥٠% جهود غير عادية إلا أن ذلك اقتصر على بعض المحافظات دون صدور قرار على مستوى الجمهورية.

لم تتوقف محاولات موظفى الضرائب العقارية فى سعيهم نحو الحصول على حقوقهم فتجمع **٢٠٠ موظف فى مارس ١٩٩٩** أمام مجلس الشعب بعد أن طردوا من النقابة العامة للبنوك التى استنكرت هذا التجمع، فما كان منهم إلا أن تجمعوا فى ميدان التحرير ومنه إلى وزارة المالية ووزارة التنمية الإدارية قبل الوصول لمجلس الشعب، ونجحت هذه التحركات فى تقنين الـ ٥٠% جهود غير عادية وتوفير

[٢] مكرم لبيب. نوبه صحيان. صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨.

الاعتمادات اللازمة لها، كما حصل العاملون على ٢٥% حافزا إثابه كانوا يحرمون منه بحجة أنه لا يسرى على العاملين الذين يحصلون على جهود غير عادية، كما استحدثت وزارة الإدارة المحلية وظيفة كبير باحثين وهى درجة تتساوى مع درجة مدير عام دون اختصاصاتها الوظيفية وسلطاتها الإدارية، لكن هذا لم يحل مشكلة الترقى إلى وظائف وكيل المديرية أو وكيل الوزراء بالمديريات حيث كانت المصلحة بالقاهرة مفرخه لتفريخ القيادات التى تتولى القيادة بالمديريات.

"انتهت حركة موظفى الضرائب **العقارية (عام ٢٠٠٠) بحصول الموظفين على بعض** مطالبهم، وكانت بمثابة مسكن، ونامت الحركة لفترة طويلة لأن قياداتها أفقها محدود ولأنهم كانوا من قيادات التنظيم الرسمى وفى ٧ محافظات فقط وكانت مشاركة المحافظات ضعيفة لضعف قياداتها وظل الوضع على ذلك **حتى عام ٢٠٠٧. حيث عادت الحركة الاحتجاجية** لموظفى الضرائب العقارية، بسبب وجود حركات احتجاجية كسرت حاجز الضعف الذى انتاب الحركة وفى مقدمتها إضراب عمال شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ديسمبر ٢٠٠٦ وارتفاع الأسعار فوق القدرة على التحمل، وكان لابد من نقله فى أوضاع الموظفين لحل المشكلة" [١].

المحافظات تحتج

لقد كان لنمو الحركة الاحتجاجية العمالية واتساع نطاقها وتنوع خبراتها وتعدد أساليبها وقدرتها على انتزاع مكاسب بفعل الاعتصامات والإضرابات أثره على كثير من القوى الاجتماعية وبعض فئات العاملين من أطباء ومعلمين وموظفين وكان من بين من تأثروا بذلك العاملون بالضرائب العقارية حيث كانت الشرارة الأولى فى ٢٠٠٧/٩/١١ باعتصام موظفى الضرائب العقارية بالجيزة "كنت متخوفاً من رد فعل زملائى لمعرفتى أن الموظفين مذبذبين فعرضت عليهم فكرة أخذ أجازة

[١] جلسة نقاشية مع كمال أبو عيطة يوم السبت ٢٠٠٩/٦/٦.

عارضة بشكل جماعى نعلن بها اعتراضنا، ولكن نتيجه المناقشات فاقت كل توقعاتى، وتم الاستجابة بالتوقف عن التحصيل والإضراب عن العمل، بل والاعتصام" [١] ورغم التهديدات الإدارية نجح القادة عبد القادر ندا وكريمة جمعة حنفى وفاطمة النبوية وإيمان موسى وأمال حسين وسلوى واسيلى وعزيزة رشاد ومنى أنيس وسارة (الشهيرة بصفية زغلول) ومرفت قاسم وليلى الشريف وعادل وعبد المنعم نصر والشيخ مجاهد وعبد الحميد عقل ومحمد كاسب وصفاء زكى وعبد الحكيم إبراهيم ونجاة وعايدة حمودة وفتحى العباسى فى حشد ١٠٠٠ موظف وعامل فى الاعتصام أمام مجمع المصالح بالجيزة وتزايد العدد إلى أكثر من ٢٥٠٠ متظاهر نظرا لانضمام موظفين آخرين من مجمع المصالح واستمرت المظاهرة من التاسعة صباحا حتى الثامنة مساءً، وكان هذا كافياً"[٢] حيث "تم توجيه رسالة شفوية من خلال الاعتصام إلى المسئول الأول بوزارة المالية لتنفيذ مطلبين رئيسيين الأول إعادة تبعية الضرائب العقارية لوزارة المالية مثل باقى قطاعات الضرائب الأخرى والثانى المساواة فى المعاملة المالية ما بين موظفى المديريات بجميع المحافظات مع موظفى **مصلحة الضرائب العقارية بالقاهرة (الديوان العام) الذين كانوا يتقاضون أربعة أضعاف نظرائهم بالمحافظات**[٣]. بعد اعتصام الجيزة تحركت المحافظات للتعبير الجماعى عن مطالبهم" عندما سُدت كل الأبواب فى **وجوهنا** قررنا العمل من خارج النقابة وقررنا التخطيط لوقفات فى المحافظات كتدريب وتجهيز لتحرك جماعى واسع"[٤] فقد "اعتصم نحو ١٠٠٠ موظف بالضرائب العقارية بالمنصورة

---

[١] كمال أبو عيطة ملحمة اعتصام موظفى الضرائب العقارية إعداد جمال عويضة مركز الدراسات الاشتراكية ٢٠٠٨.

[٢] كمال أبو عيطة ملحمة اعتصام موظفى الضرائب العقارية إعداد جمال عويضة مصدر سابق.

[٣] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا. النقابة العامة للضرائب العقارية.

[٤] كرم لبيب. نوبه صحيان صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨.

ووسط اسطبل للمواشى احتشدوا احتجاجا على أوضاعهم المالية واستمرار فصلهم عن وزارة المالية وتبعيتهم للمحليات وتقدم المظاهرة مكرم لبيب عبد السيد رئيس اللجنة النقابية، وصلاح محمد عبد السلام نائب الرئيس، وجمال محمود عويضة أمين عام النقابة ومنصور الحسينى أمين الصندوق، على السعيد محمد حسن الأمين العام المساعد، ونجلاء فتحى عبد العزيز، ومحمود عبد العظيم سلامة، ومحمد السيد عبد الرحمن، والسيد محمد إبراهيم رزق أعضاء النقابة، وممدوح الشامى، وعماد شعبان، وأيمن السيد على أبو غزة وعبد الغنى السيد عباس، ومحمود قاسم، وكريمة علوى والسيد الحديدى، وأكد المتظاهرون أنه **فى حالة عدم الاستجابة لمطالبهم سينظمون إضرابا عاما يبدأ يوم ٣٠** سبتمبر ٢٠٠٧ بالمحافظة تتبعه **اعتصامات متتالية فى محافظات أخرى"**[١].

انقلب حال **بنى سويف** المدينة والمحافظة التى تتسم بالهدوء "عرفت باعتصام مأمورية الجيزة من زميل لى فى العياط ثم تشاورت مع زملائى بهدف تنظيم تحرك فى محافظتنا، وقد كان حيث نظمنا وقفة احتجاجية يوم ٢٠٠٧/٩/٣٠ وكان التجمع بمنطقة صلاح سالم التى يقع بها العديد من المصالح الحكومية ومن بينها الضرائب العقارية، واستمرت الوقفة من الصباح حتى الساعة الواحدة وانتهى الإضراب، وقد أمر مدير المصلحة بانصراف الموظفين مبكرا فأدى هذا إلى تفرق الوقفة مبكرا"[٢].

وفى المحافظات الأخرى وبالرغم من معاناه الموظفين من تبعيتهم للمحليات وتأييدهم للتحركات فلم يتم تنظيم حركات احتجاجية بها لسيطرة عناصر تابعة للتنظيم النقابى الحكومى على النقابة بهذه المحافظات **"عرفت من الإعلام** أن زملائى

---

[١] جمال محمود عويضة ملحمة اعتصام الضرائب العقارية إعداد جمال عويضة. مركز الدراسات الاشتراكية.

[٢] جمال الصادق نوبة صحيان صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨ مصدر سابق.

بالجيزة والدقهلية بدأوا فى الحركة لكن الوضع فى القليوبية لم يكن يسمح بغير الحركة الفردية فشاركت بمفردى فى الاعتصامات الجماعية ابتداءا من اعتصام الاتحاد العام للعمال"[٣].

كانت الوقفات الاحتجاجية بالجيزة والدقهلية وبنى سويف مصدر إلهام لموظفى الضرائب العقارية خصوصا بعد التغطية الصحفية والإعلامية الواسعة من الصحافة المستقلة (الدستور- البديل- المصرى اليوم- الوفد- صوت الأمة- الكرامة).

"كانت أول مشاركة لى فى الوقفة الاحتجاجية أمام وزارة المالية بناءاً على دعوة من مكرم لبيب الذى رأيته لأول مرة ٢٠٠٦، وكنت بمفردى ممثلا عن الشرفية وكان زملائى يسخرون منى عندما يعلمون أننى ذاهب للتظاهر، ولكن الوضع تغير أثناء اعتصام شارع حسين حجازى حتى وصل العدد فى نهايته إلى **٦٠ موظف من الشرقية[٤]**. وهكذا توالت مشاركات المحافظات فى الحركة رغم الحصار الإدارى فى كل مديرية فامتد النشاط إلى البحيرة، المنوفية، الإسماعيلية، دمياط، الغربية، وفى أسوان سلم الموظفين قسائم العمل للإدارة. لقد بدأ الاحتجاج الشامل فى كل مديريات الضرائب العقارية ومن خلاله اكتسب قادة الإضراب خبرات كبيرة فى أساليب الدعوة والتنظيم والحشد. لقد كان للوقفات الاحتجاجية التى نظمها قادة الضرائب العقارية بالمحافظات أهميتها فى الإعلان بقوة عن مشكلة بلغ عمرها ثلاثة وثلاثون عاما، وفى قطاع لم يعرف هذا النوع من الأساليب الاحتجاجية فى المطالبة بحقوقه، ومن خلال هذ الاحتجاجات وعن طريق الإعلام المستقل والحزبى بل والحكومى تعرف المجتمع المصرى على مشكلة موظفى الضرائب العقارية ووصل صوت القادة إلى جميع المحافظات عبر الدستور والبديل

---

[٣] طارق مصطفى نوبة صحيان صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨.

[٤] أحمد عبد الصبور عضو اللجنة العليا للإضراب. نوبه صحيان صوت الضرائب العقارية مصدر سابق.

والمصرى اليوم والوفد والكرامة حتى الصحف التى كانت تنقل أخبار الحركة بشكل سلبى ساعد ذلك على وضع المشكلة فى بؤرة الضوء وبشكل يومى مع دخول القنوات الفضائية المجال خصوصا برنامج العاشرة مساء كان من الممكن أن يمنع السياج الأمنى، والتعتيم نتيجة الإعلامى، والحصار النقابى الحكومى من وصول صوتنا ومطالبنا للمسئولين ولكن هذه الصحف اخترقت كل الحواجز وكان نتيجه ذلك": ١-تعاطف الرأى العام معنا فى كل مراحل حركتنا بأفضل من كل توقعاتنا ٢- أوصلت رسالتنا لمن بيده القرار ٣- أن بعض المناطق التى كان من الصعب علينا الوصول إليها اخترقتها الصحافة الخاصة والمستقلة والحزبية ٤- مثلت لنا سياج أمان من بطش الأجهزة" [٢] استخدم قادة الضرائب العقارية حصاد الحركة فى التجمع أمام وزارة المالية يوم ٢١ أكتوبر ٢٠٠٧، وكان وراء هذا المشهد خبرات حقيقية فى التنظيم والحشد وقيادة التجمعات بشكل بسيط وسهل، والمراقب للأحداث عن قرب لا يجد صعوبة فى التعرف على المشهد بكل تفاصيله فقادة الجيزة والدقهلية كان لهم دور كبير فى الترتيب لهذا الحدث الذى نقل الحركة إلى مستوى متقدم، حيث تم الاتصال بكافة المحافظات والاتفاق على حضور أكبر عدد ممكن والتظاهر فى القاهرة "فى **٢١ أكتوبر تحولت ٤٠٠ مأمورية ضرائب** و١٠٠ مقر إدارة فى أنحاء مصر إلى ثكنات عسكرية يحيط بها أفراد أمن من كل شكل لمنع الموظفين من الخروج والمشاركة فى الاعتصام فى القاهرة وعلى الرغم من ذلك وفى **تمام الساعة التاسعة صباحا كان أمام وزارة المالية ٧ آلاف موظفا من موظفى الضرائب العقارية** من الدقهلية والقليوبية والمنوفية والجيزة والمنيا وبنى سويف والفيوم جاء معظمهم فى **أتوبيسات**"[١] . "فى الدقهلية كان لابد من التنظيم

---

[٢] كمال أبو عيطة جلسة نقاشية مع نقيب نقابة الضرائب العقارية المستقلة.

[١] كمال أبو عيطة نوبة صحيان. صوت الضرائب العقارية ..... أكتوبر ٢٠٠٨ مصدر سابق.

obeikandi.com

بشكل جيد وخصوصا بعد النشر فى الصحف الرسمية وغير الرسمية والإذاعات والتلفزيون والقنوات الفضائية عن مناقشة مشروع العقارات المبنية فى دوره مجلس الشعب الحالية فكان لابد من الجلوس مع أعضاء مجلس الشعب والشورى بالمحافظات ومناقشة مشروع القانون حتى يكون واضحا فى أذهانهم وأيضًا محاولة كسبهم إلى صفوفنا أثناء المناقشة" [١] وبعد هذه الخطوة كان لابد من رسم خطة الحركة إلى القاهرة "تم الاتصال بالعناصر الفعالة فى كل مأمورية حيث يشمل الدقهلية" ٢٣ مأمورية بالإضافة إلى ديوان عام المديرية وبالتالى تجمع" ٤٠٠ عضو وبحضور عدد كبير من المديرية تم عمل كشف مرفق حُددت فيه الاعداد التى ستتوجه إلى القاهرة، وتم التجمع على الطريق الدائرى بناحية قرية سلكا وتحركنا على الطريق باتجاه مأمورية أجا ومأمورية ميت غمر مركز وبندر وتحركنا بأسرع ما يمكن إلى القاهرة على الطريق الدائرى، وصلنا فى الميعاد المحدد وهو الثانية عشر ظهرا أمام وزارة المالية فى مظاهرة على مستوى الجمهورية لم يحدث مثلها من قبل"[٢].

"كان الهدف مقابلة وزير المالية ولكن لم يتم مقابلته لوجوده خارج مصر، وتم مقابلة ممتاز السعيد مستشار وزير المالية ومدير المكتب الفنى بوفد مكون من (كمال أبو عيطة كريمة جمعة- مرفت قاسم- عبد القادر ندا- محمد البجيجى- عبد الناصر شديد- مكرم لبيب – جمال عويضة- طارق مصطفى كعيب - على مصطفى- أحمد

---

[١] جمال عويضة ملحمة اعتصام الضرائب العقارية. مركز الدراسات الاشتراكية مصدر سابق.

[٢] جمال عويضة ملحمة اعتصام الضرائب العقارية. مركز الدراسات الاشتراكية مصدر سابق

أبو اليزيد الشافعى) وأكد مستشار الوزير للوفد أنه لا يملك القرار وحاول إقناعنا بانتظار عودة الوزير وأن الموضوع فى يد رئيس الوزراء وليس وزير المالية"[٣].

المسيرة الكبرى

بعد خروج وفد التفاوض ومعرفة الحشد نتيجة المقابلة انطلق هتاف كريمة علوى القادمة من الدقهلية "هنوردها خالية" وهو هتاف تردد بعد ذلك فى كل الوقفات الاحتجاجية وفى كل المديريات. رفض المعتصمون الرحيل **وقرروا الذهاب إلى رئاسة الوزراء فى مسيرة طولها ٢٤ كيلو متر مشيا على الأقدام"[٤]**

"كان الأمن مصاحبا لنا وكان يحاول أن يحضر لنا أتوبيسات لمنعنا من السير فى الشوارع، ولكننا رفضنا واستمرينا فى السير فى طابور رائع، واضطر كل قسم شرطة كنا ندخل فى دائرته إلى وقف المواصلات حتى مرورنا". [٥]

"وصلنا إلى مجلس الوزراء، وهناك لم نجد من يقابلنا سوى موظف متواضع فى مكتب الشكاوى. واستشاط المعتصمون غضبنا" نتيجة الاستهتار الذى قوبلوا به وأرادوا الاستمرار فى اعتصامهم، ولكنى وجدتهم فى شدة الإرهاق نتيجة للمسيرة وأقنعتهم بتعليق الإضراب حتى ٣ ديسمبر"[١] اقتنع الجميع بتعليق الاعتصام "وأخذ كمال أبو عيطة يردد القسم ومن ورائه جميع المعتصمين أمام مجلس الوزراء بأننا سنواصل الإضراب ولن تغمض لنا عين حتى نحصل على حقوقنا"[٢] عاد

---

[٣] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا أمين عام نقابة الضرائب العقارية المستقلة.

[٤] كمال أبو عيطة نوبه صحيان. صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨ مصدر سابق.

[٥] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا أمين عام نقابة الضرائب العقارية

[١] كمال أبو عيطة نوبه صحيان. صوت الضرائب العقارية الحد أكتوبر ٢٠٠٨ مصدر سابق

[٢] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا أمين عام الضرائب العقارية

المعتصمون بخيبة أمل كبيرة، وكان هناك تصميم على العودة يوم ٣ ديسمبر لمعاودة الاعتصام ولكن حدثت عدة متغيرات فى هذه الفترة حيث تم طلب وفد لمقابلة مسئول بوزارة المالية بخصوص المطالب التى أعلنها موظفوا الضرائب العقارية، وذهب بالفعل وفد أوائل شهر نوفمبر لمقابلة المسئول، ولكن بعد وصول الوفد الوزارة قابلهم اللواء مدير الأمن وتم التعامل معهم بشكل مهين، ولم يقابلهم وكيل الوزارة الذى قام باستدعائهم، وكان لابد من رد قوى وعدم الانتظار لـ ٣ ديسمبر فقررنا تنظيم اعتصام بعدها بيومين داخل مقر الاتحاد العام للعمال "فى الحقيقة أن اللجنة العليا للإضراب كانت تقوم فى كل مرة يتقرر فيها الاعتصام باختيار درجة الحشد والمكان الذى سيكون محلا للاعتصام ولأنه كان الممكن أن يكون هناك مبيت لذلك كان قرارنا بالاعتصام داخل الاتحاد، ونجح **الاعتصام بالفعل يوم ١١/١٣** واستمر لمدة يومين تم الاجتماع خلالها بحسين مجاور الذى كان يعطى وعود زائفة، ويطلب فض الاعتصام وإعطاؤه فرصة للتفاوض مع وزير المالية، وكان اليوم التالى افتتاح الدورة البرلمانية ومر رئيس الجمهورية من فوقنا (شارع الجلاء) متوجها لمجلس الشعب وافتتح خطابه بمناشدة وزير المالية حل مشكلة الضرائب العقارية، وقررنا الاستمرار فى الاعتصام بعد الخطاب وكانت المفاوضات هذه المرة مع عبد الرحمن خير عضو مجلس الشورى، وأثناء المفاوضات مساء اليوم التالى كان هناك واحد أراجوز من العلاقات العامة فى الاتحاد وانتهز الفرصة ونزل للمعتصمين بمعاونة بعض الأفراد من اللجان النقابية والنقابة العامة للبنوك وأوهم المعتصمين أنه تم حل المشكلة ونزلنا من الاجتماع فوجدنا العدد قليل وعرفنا اللعبة (لعبة اتحاد العمال ونقابة البنوك) وقررنا تعليق الاعتصام ليوم ٣ ديسمبر ٢٠٠٧)[٣]

[٣] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا أمين عام النقابة العامة للضرائب العقارية

والغريب "أن التدخل الوحيد الذى قامت به وزيرة القوى العاملة فى قضيتنا هو الاتصال بزميلتنا ميرفت قاسم أثناء الاعتصام ونصحتها بالانسحاب هى وبقية النساء قائلة "مش أصول تقعد النساء إلى جوار الرجال"[٤].

وعن فض الاعتصام كرر حسين مجاور عن طريق نائبة عبد الرحمن خير "قائلا خلونى راجل متبقوش قاعدين فى بيتى ومش عارف اخرجكم وتبقوا عاوزنى أتفاوض باسمكم فقال كمال لم اعترض على الفض عبد الناصر قبل الهدنة ليس حبا فى أمريكا وإسرائيل، ولكن ليتمكن من بناء حائط الصواريخ وهذه ستكون خطتنا، وبذلك تم تعليق الاعتصام حتى ٣ ديسمبر"[١].

"اتفق الجميع على قيام كل محافظة من محافظات مصر بوضع استراتيجية وخطة عمل بداخلها وتقوم اللجنة العليا للإضراب بالتنسيق بين المحافظات ففى الدقهلية على سبيل المثال تم تحديد التكليفات لكل مندوب وعدد المعتصمين والأيام التى سيقضونها فى الاعتصام على أن يظل عدد الدقهلية الثابت فى مقر الاعتصام ٦٠٠ معتصم يوميا وألا يقل العدد عن هذا الرقم بل يتم زيادته قدر الإمكان وقد أنضم إلينا من دمياط الزميل صلاح صفوت وكان له دور كبير فى اعتصام ٣ ديسمبر" [٢]

وإلى جانب الدقهلية برزت محافظة الجيزة بقدرتها على حشدا المعتصمين خصوصا فى الأيام الأولى للإضراب وهى أصعب أيام الإضراب، وكان للقدرات

---

[٤] كمال أبو عيطة نوبة صحيان صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨ مصدر سابق.

[١] مكرم لبيب نوبة صحيان صوت الضرائب العقارية الحر أكتوبر ٢٠٠٨ مصدر سابق

[٢] جمال عويضة ملحمة اعتصام موظفى الضرائب العقارية مصدر سابق.

obeikandl.com

التنظيمية لقادتها أثره الكبير على استمرار الحشد بالمعدلات المطلوبة بل زادت كثيرا عن هذه المعدلات"[٣].

لم تكن استعدادات موظفى الضرائب العقارية للاعتصام والإضراب خافية على أحد، حيث تجرى الترتيبات على قدم وساق لحشد أكبر الإعداد أمام مجلس الوزراء يوم ٣ ديسمبر ففى يوم ٢٩ نوفمبر تنشر البديل "قرر ممثلوا المحافظات بمديريات الضرائب العقارية فى اجتماعهم أمس الاعتصام أمام مجلس الوزراء (٣ ديسمبر) والتظاهر أمام مديرياتهم فى المحافظات البعيدة، ومواصلة الامتناع عن التحصيل وذلك للمطالبة بمساواتهم ماليا مع زملائهم فى مصلحة الضرائب العقارية مما يعنى زيادة حوافزهم بنسبة ٤٠٠% على الأقل وإقالة إسماعيل عبد الرسول رئيس المصلحة، وقال بيان اللجنة العليا للإضراب أن موظفى الضرائب العقارية البالغ عددهم ٥٥ ألف موظف ردا على تجاهل المسئولين بالدولة لمطالبهم المشروعة، وعدم تنفيذ رئيس الاتحاد العام العمال حسين مجاور لوعوده بسرعة حل المشكلة وهى الوعود التى تم على أثرها تعليق اعتصامهم لمدة ثلاثة أسابيع لمنح فرصة حل المشكلة التى لم تسفر عن شئ وأضاف البيان أن موافقة وزير المالية على صرف ٨٨ مليون جنيه للعاملين فى مكتبه فى صورة مكافآت لمواجهة الغلاء وارتفاع الأسعار بينما تجاهل تماما العاملين بالضرائب العقارية الذين يأكلون الحصرم كان صبا للزيت على النار ودفع إعداد واسعة من العاملين للانضمام إلى حركة الاحتجاج الراهنة" [١].

---

[٣] لمزيد ممن التفاصيل راجع عن خطط الحشد راجع ملحمة اعتصام الضرائب العقارية صـ ٤٨ ووما بعدها.

[١] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة والاحتجاجات العمالية دراسة غير منشورة.

شارع حسين حجازى

"فى ٣ ديسمبر قمنا بعمل مناورة فأوحينا للجميع أننا سنبدأ الاعتصام لمدة ساعتين أمام مجلس الوزراء ثم ننتقل بعدها إلى الاتحاد العام للعمال لتكملة الاعتصام المفتوح بداخله"[٢]

تحركت التجمعات من مختلف المحافظات فى اتجاه مجلس الوزراء حيث "لاقى هذا المكان ارتياح كل الموجودين لخطورة المكان،والصدى الكبير لهذا الحدث، وأنه لم يكن غريب عليهم. تقابلنا بالاحضان والهتافات، الوجوه متآلفة وضاحكة ومبتسمة وبشوشة كأنك تعرفها من سنوات، والمكان جئناه مشيا على الاقدام لمسافة ٢٥ كيلو متر من مدينة تصر (وزارة المالية) إلى القصر العينى شارع حسين حجازى الذى لقب بعد ذلك بشارع الضرائب العقارية (الكل فى انتظار الكل) الدفوف والطبول والميكروفونات والهتافات والفرحة والصراخ مش مصدقين **أن يصل العدد فى هذا اليوم إلى أكثر من عشرة آلاف متظاهر**، والكل يتسابق. بدأت الهتافات الجميلة والقرار.. القرار.. مش ماشيين إلا بقرار) (المساواة- المساواة) (يا تساوونا بالمصلحة يا تودونا على المشرحة) (يا وزير المالية نظرة عطف للعقارية). وضعنا الحقائب والامتعة على الأرض أمام رئاسة مجلس الوزراء، وجلسنا حتى المساء، وكان من المقرر أن يكون المبيت فى الاتحاد العام وذلك لبرودة الجو وخوفا من الشتاء، ولكن فى السادسة مساءً أحضر الأمن الاتوبيسات حوالى ١٢ أتوبيس لتأخذ المعتصمين إلى مقر المبيت بالاتحاد العام للعمال، ولكن حدث شئ جميل جدا، وبميكروفون تم السؤال نذهب للاتحاد ولكن المعتصمين فضلوا المبيت مكان الاعتصام، وتعبنا جدا فى هذا اليوم. حيث الأغطية لا تكفى وبدون بطاطين، ولكن تحملنا فى هذه الليلة وبدأ اليوم الثانى ١٢/٤ بصلاة الفجر فى السيدة زينب والبعض

---

[٢] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا. أمين عام النقابة العامة للضرائب العقارية.

صلى فى الحسين، وبدأ كمال أبو عيطة طابور الصباح بتحية العلم وتعالت الأناشيد والهتافات الجميلة التى كانت وليدة اللحظة"[٣]

وفى نفس اليوم التالى ١٢/٤ تنشر المصرى اليوم "أن المعتصمين يمثلون ٢٢ محافظة رددوا قسما فى البداية (نقسم بالله العظيم أننا لن نفض اعتصامنا واضرابنا عن العمل لحين صدور قرار مالى يحسن من أجورنا). وأن الآلاف نظموا اضرابات واعتصامات متفرقة فى المحافظات" كما نشرت البديل أخبار عن الاعتصام "وسط حصار عربات ومصفحات وجنود الأمن المركزى، ورفع لافتات مكتوب عليها(مرتبنا يساوى جزمة ويساوى ٢ كيلو لحمة) وتعرض الموظفون لضغوط شديدة لإجبارهم على التراجع عن الاعتصام. وأن المشاركين يمثلون محافظات الجيزة والدقهلية وبنى سويف والفيوم والمنوفية وكفر الشيخ وشمال سيناء والشرقية فضلا عن اعتصام زملائهم فى الدقهلية والغربية، كما نشرت الجريدة تصريحات مكرم لبيب رئيس اللجنة النقابية بالدقهلية **وعلى السعيد** الأمين العام المساعد ورشدى عبد الحميد النجار ومنصور الحسينى عبد الرحيم"[١].

"فى ٤ ديسمبر توالت الضغوط بنقل الاعتصام من أمام مجلس الوزراء إلى مقر الاتحاد العام وقد فشلت الجهود التى بذلها الوسطاء، وفشلت جهود اتحاد العمال فى أحتواء الأزمة، واتهم المتظاهرون الحكومة والاتحاد بالتسويف، وقرر المعتصمون الاستمرار فى الإضراب على مستوى الجمهورية والتوقف عن العمل تماما، والتوقف عن تحصيل الضريبة وعدم فض الاعتصام" [٢]

---

[٣] جمال عويضة ملحمة اعتصام موظفى الضرائب العقارية. مركز الدراسات الاشتراكية مصدر سابق

[١] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة والاحتجاجات العمالية. مصدر سابق

[٢] جمال عويضة ملحمة اعتصام موظفى الضرائب العقارية. مركز الدراسات الاشتراكية مصدر سابق

فى ١٢/٥ تنشر المصرى اليوم "مواصلة المعتصمين للتحدى وإعلانهم أنهم لن يغادروا شارع حسين حجازى دون حل. واتهام جهات رسمية نواب الإخوان بالتحريض على نقل الاعتصام إلى مجلس الشعب، وصرح مكرم لبيب أحد قيادات الاعتصام أنهم رفضوا ذلك خشية استغلال قضيتنا سياسيا مشددا على أن اعتصامهم للحصول على حقوقهم المسلوبة للتنديد بسياسات الحكومة، وفشل أجهزة الامن ورئيس النقابة العامة للبنوك فى اقناع المعتصمين بفض الاعتصام بعد إحالة قانون الضرائب العقارية الجديد إلى مجلس الشعب الذى سيحل مشكلتهم، وتنشر البديل "أن الموظفين ناموا على أوراق الصحف أمام مجلس الوزراء وأن رئيس النقابة العامة للبنوك رفض توفير أى احتياجات للمعتصمين كالأغذية والأغطية وأن وفد الاعتصام توجه إلى مجلس الوزراء فلم يجد أى مسئول، وقد زار النائب حمدين صباحى المعتصمين للتضامن معهم"[٣]

وفى ٢/٦ تنشر المصرى اليوم "أن المعتصمين يتجاوزون أحمد نظيف ويلجأون للرئيس مبارك (أبو علاء) وأن الإضراب دخل يومه الثالث، وقام المعتصمون بإقامة الخيام فى شارع حسين حجازى للتأكيد على أنهم لن يرحلوا حتى تتم الاستجابة لمطالبهم كما تنشر البديل عن مشاركة موظفى الضرائب العقارية بالقاهرة لأول مرة واعتذارهم عن التأخير فى المشاركة، كما تسير حملة سحب الثقة من اللجان النقابية بوتيرة سريعة فى عدة محافظات مثل البحيرة والجيزة والمنيا وبنى سويف وأنباء عن إضراب الموظفين فى دشنا والموظفات فى الدقهلية و٦٠٠ موظف فى كفر الزيات ولقاء حسين مجاور مع قيادات الاعتصام، وأن المعتصمين يدرسون استدعاء أسرهم للإقامة معهم فى الشارع. قام المعتصمون بتشكيل لجان إحداها تتابع البرامج التلفزيونية على المقاهى وتشترى مختلف الصحف وتوصيلها للمعتصمين، وأخرى تقوم بأعمال المعيشة وجمع أموال لشراء الطعام ونصب الخيام

---

[٣] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة، وحركة الاحتجاجات العمالية. مصدر سابق.

وعمل الشاى، ومجموعة للهتافات وتجميع المجموعات وتوحيدهم فى تظاهره صغيرة، ومن المتضامنين الذين زاروا مقر الاعتصام وفد أمانة العمال بحزب التجمع يرافقهم عدد من الأطباء، مركز الدراسات الاشتراكية، النائب سعد عبود"[١] **"وكان للتواجد النسائى فى الاعتصام أكبر الأثر على نجاح اعتصام الضرائب العقارية، حيث الدور المهم والمؤثر** كان واضحا فى تواجدهم سواء فى الهتافات أو فى الإعاشة ووقفن بجانب الرجال كتفا بكتف وذراعا بذراع حيث الهدف المشترك والسبيل الواحد والهم الواحد والمعاناة الواحدة، وإهدار الكرامة والإحساس بالظلم وعدم المساواة بينها وبين زملائها فى المصلحة بالقاهرة"[٢] .

فى يوم ١٢/١٠ تنشر المصرى اليوم تصريحات يوسف بطرس غالى أمام اللجنة المالية بمجلس الشورى "أنه يعرف أن موظفى الضرائب العقارية ناس تعبانه وشقيانة لكن يوجد غيرهم دخولهم اقل فضلا عن ٢ مليون عاطل وأضاف محدش يلوى دراعى، ولو قالوا لى أما أن تحل المشكلة وإما أن نظل فى الشارع سأقول لهم أبقوا فى الشارع ثم التقى بممثلين عنهم ووعدهم بحل المشكلة، خبر عن عقد اجتماع عاجل لهيئة مكتب الاتحاد العام لنقابات عمال مصر برئاسة حسين مجاور أكد فيه حرص الاتحاد على حماية حقوق العمال المشروعة والعمل على تحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى داخل وحدات العمل المختلفة، المعتصمون نشروا غسيلهم أمام مجلس الوزراء تعبيرا عن إصرارهم على مواصلة الاعتصام، وصلت أكثر من ٢٠٠ بطانية وكمية كبيرة من الأطعمة والمشروبات".[٣]

"فى اليوم السابع من أيام الاعتصام ١٢/٩ وطلب من خلال قنوات أمن الدولة أنه مطلوب أربعة للتفاوض مع مسئول كبير. احسسنا مباشرة أنه الوزير فكان

---

[١] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة، وحركة الاحتجاجات العمالية. مصدر سابق.

[٢] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة، وحركة الاحتجاجات العمالية. مصدر سابق.

[٣] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة، وحركة الاحتجاجات العمالية. مصدر سابق.

الاختيار من بيننا أن يكون الوفد مشكلا من محافظات مختلفة معبرة عن مواقع الجمهورية فيها الصعيدى والبحراوى والسيناوى والجيزاوى ويمثل تعانق الهلال مع الصليب من خلال وجود عضو بالوفد هو مكرم لبيب (الدقهلية)، جمال الصادق (بنى سويف) محمد سالم (العريش)، كمال أبو عيطة (الجيزة)، وقد تم اختيارهم بشكل ديمقراطى من خلال محافظاتهم، وانتظر الجميع عودة الوفد بعد الاجتماع الذى استغرق ساعتين، وبعد عودة الوفد وسط هتافات المعتصمين وأمالهم فى التوصل إلى قرار أكد كمال أبو عيطة أنه ليس هناك شئ ملموس أو قرار وأنما كل ما دار على طريق الوعود من جانب الوزير، وحاول مكرم مناشدة المعتصمين إعطاء فرصة للوزير وأنه راجل محترم، ولكن المعتصمين رفضوا ذلك من خلال تصويت ديمقراطى كانت الاغلبية بأكملها مع الاستمرار فى الاعتصام"[1] ومع اقتراب عيد الأضحى المبارك وعدم ظهور حلول فى الأفق "أعد المعتصمون برنامجا للاحتفال بعيد الأضحى المبارك فى الشارع حيث خططوا لاحضار مراجيح لأطفالهم، واصل موظفوا الضرائب العقارية اعتصامهم لليوم العاشر على التوالى احتجاجا على تجاهل الدولة لمطالبهم بشأن المساواة ماليا مع زملائهم، وأعلنوا أن أسرهم تعتزم التضامن معهم، وانتقدوا ما وصفوه بأكاذيب المسئولين وأن وزير المالية عرض عليهم خلال التفاوض منحة قدرها ٤٠٠% مؤكدين أن هذا عار تماما من الصحة"[2]، وتنشر الصحف "الإعلان عن بدء مرحلة جديدة بتنظيم مسيرة إلى رئاسة الجمهورية يشارك فيها ١٥ ألف موظف وأنها ستكون الليلة الكبيرة مما دفع مباحث أمن الدولة للتدخل وقدمت العرض الأخير"[3] فى "منتصف ليلة ١٢/١٢ اتصل بنا لواءات الرئاسة الذين كانوا يرعون التفاوض وقالوا الوزير وافق على

---

[1] جلسة نقاشية مع عبد القادر ندا أمين عام نقابة الضرائب العقارية

[2] جمال عويضة ملحمة انتصار الضرائب العقارية مصدر سابق

[3] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة، وحركة الاحتجاجات العمالية. مصدر سابق.

القرار، واستقبلنا الوزير فى معهد المحصلين والصيارف الكائن بحلمية الزيتون وهو يقول "أهلا بكم فى بيتكم فى إشارة إلى ضمنا لوزارة المالية، وقال أنه أصدر قرار بمساواتنا بزملاءنا فى مصلحة الضرائب العقارية بالقاهرة اعتبارا من أول يناير المقبل، وكذلك صرف مكافأة شهرين على عيد الأضحى المبارك لجميع العاملين بالمصلحة والمديريات والمأموريات على مستوى الجمهورية، واتفقنا على وضع الخطوط العريضة بين عيدى الأضحى والميلاد، وفى ٢٣ ديسمبر قابلناه مباشرة لوضع الخطوط العريضة لطريقة الضم فحصلنا على ٥٠% جهود غير عادية ٢٢٠% مكافأة تشجيعية وهو ما أعتبره جزء مهم، ولكن يظل مجرد جزء من مطالبنا"[٤] ثم نشرت الصحف "انتهاء الاعتصام بعد تحقيق مطالب موظفى الضرائب العقارية وهى:

١-صرف مكافأة شهرين لجميع الموظفين البالغ عددهم ٥٥ ألف موظف وعقد اجتماع مع زملائهم فى المصلحة. ٢- البدء فى صرف عمولات التحصيل لجميع الانواع. ٣- صرف ٤٥ يوم للقائمين بالتحصيل. ٤-إلغاء الجزاءات ووقف التحقيقات التى تمت بسبب الاشتراك فى الاعتصام.

وقرر المعتصمون تعليق الاعتصام مع الاستمرار فى الإضراب عن التحصيل حتى صدور القرار الخاص بتحويل تبعية مصلحة الضرائب من الحكم المحلى إلى وزارة المالية على أن يعودوا للاعتصام يوم ٩ يناير المقبل فى حالة عدم تنفيذ الاتفاق ونقل الاعتصام إلى رئاسة الجمهورية، وفى آخر ديسمبر صدر قرار وزير المالية بضم موظفى الضرائب العقارية بالمديريات إلى وزارة المالية.

"كشفت تجربة هذا الاعتصام عن تنامى الدور الذى يلعبه الإعلام، ليس فقط على صعيد تعريف الرأى العام بقضايا المعتصمين ومطالبهم، وإنما أيضا على صعيد توفير نوع من السياج الحامى للاعتصام والمعتصمين، ورغم أنه لم تحدث

[٤] مكرم لبيب. نوبة صحيان صوت الضرائب العقارية الحر مصدر سابق

فى هذا الاعتصام أى احتكاكات من أجهزة الأمن والاعتصام فإن الحضور شبه الدائم للإعلام لعب دورا رادعا فى وجه احتمالات انفلات النزعة القمعية من عقالها"[1].

لعبت وسائل الإعلام وفى مقدمتها الصحافة الخاصة والمستقلة والقنوات الفضائية دورا هاما فى تغطية الاحتجاجات العمالية ومن بينها اعتصام الضرائب العقارية و وتعتبر الصحافة الخاصة ظاهرة جديدة أيضا فى المجتمع المصرى"حيث لا يزيد عمر الصحافة الخاصة اليومية عن خمس سنوات، وكان لظهورها تأثير كبير على العملية الإعلامية وعلى المحكومية (الحكم الجيد) فقد أصبح بإمكان المواطن الحصول على المعلومات عما يجرى فى المجتمع من مصادر متعددة يمكنه من معرفة الحقيقة من خلال مقارنته بين ما يحصل عليه من معلومات وفرزها بعد أن كان الإعلام الحكومى منفردا بالمساحة الإعلامية يقدم للمواطنين من وجهة نظر الحكومة غالبا بما فى ذلك أخبار الحركات الاحتجاجية، مما يمكن أجهزة الأمن من التعامل معها فى غيبة رأى عام مساند لها، والتنكيل بالقيادات التى تحركها كما حدث فى إضراب سائقى ووقادى قطارات السكة الحديد عام ١٩٨٦. حيث تم اعتقال قادة الإضراب وتقديمهم للمحاكمة، وحل رابطة سائقى ووقادى القطارات التى تم تنظيم الإضراب من خلالها بعد أن خذلتهم النقابة العامة الرسمية، وغابت عن المجتمع فرصة معرفة ما حدث لغياب وسائل الإعلام الخاصة ويكشف التحليل الكمى لاعتصام موظفى الضرائب العقارية عن تغطية مستمرة ففى الفترة من ٢٠٠٧/٩/٢٠ إلى ٢٠٠٩/٥/٢١ بلغ عدد الموضوعات التى نشرت ٥٣٠ موضوعا كان نصيب الصحافة الخاصة (الدستور- المصرى اليوم- البديل) ٢٥٠ موضوعا مستخدمه كافة أشكال الفن الصحفى من خبر وتحقيق ومقال وملف"[2].

---

[1] د. سمير غطاس سلسلة مقالات منشورة بجريدة المصرى اليوم.

[2] عبد الغفار شكر الصحافة المستقلة، وحركة الاحتجاجات العمالية. مصدر سابق.

obeikandi.com

"النقابات العمالية الرسمية تعيش حالة من الغيبوبة إزاء سياسات وسلطات إدارية متسلطة أو فاسدة تنتهك حقوق العمال والموظفين وهم أهم عناصر الإنتاج، لقد أصبح العامل أو الموظف يعانى أوضاعا مادية سيئة، ولم يعد يستطيع سد احتياجاته الدنيا هو وأسرته وذلك لضعف مرتبه ومكافأته التى يسطوا عليها مديريه، وكذلك لم يعد الموظف يجد من يتفاوض باسمه لتحسين بيئة العمل أو يحميه من ابتزاز السلطة، وفى ظل صحوه العاملين بالضرائب العقارية، وتصميمهم على استرداد حقوقهم المادية والاجتماعية والصحية بالمساواة مع اقرانهم بمصالح الضرائب المصرية ظهر لفيف من القيادات حملوا المسئولية على أكتافهم ليملأوا الفراغ ويقوموا بالدور النقابى كما يجب أن يكون .

لقد أفرزت الحركة الاحتجاجية لموظفى وعمال الضرائب العقارية جيلاً جديداً من القادة قادر على حمل أعباء القيادة تربى فى حضن وخبرة الحركة فى المحافظات عن كيفية الإعداد الجيد لكل خطوة ومناقشة كل صغيرة وكبيرة بكل تفاصيلها والترتيب لأى حدث مقبل وفق آليات ديمقراطية لا تتجاهل أى رأى وهذه القيادات الحقيقية لم يكن لها من قبل أى نشاط سياسى أو نقابى ولم تكن تركيبتها العمرية واحدة بل كانت من مختلف الأعمار وكان لهم تأثير كبير على نجاحها حيث تم صقل الكثير من الخبرات فالحركة التى بدأت بعناصر قيادية قليلة العدد وصلت فى نهاية الاعتصام إلى تخرج المئات من القادة فى مدرسة الضرائب العقارية بشارع حسين حجازى.

وقد طرحت تلك القيادات على نفسها وعلى موظفى الضرائب العقارية هدفا استراتيجيا هو تحرير حركة الموظفين وتنظيمها على طريق تأسيس نقابة مستقلة، لا تدخل للدولة فى شئونها وتسعى تلك القيادات إلى تحقيق الهدف على المدى الطويل بنفس الطريقة الحضارية التى أدارت بها اعتصامها الأخير فى ٢٠٠٧/١٢/٣"[١].

---

[١] عبد القادر ندا. نوبة صحيان صوت الضرائب العقارية الحر. مصدر سابق.

أدوات تحقيق النصر

انتصر موظفو الضرائب العقارية بشكل قاطع وواضح وحققوا من خلال حركتهم الذاتية جميع المطالب التى حددوها قبل القيام بحركتهم **وفى مقدمتها العودة إلى وزارة المالية والمساواة بينهم وبين موظفى ديوان المصلحة بالقاهرة** ولم يكن لهذا أن يتحقق إلا بتوافر **مجموعة من العوامل التى حسمت الصراع لصالح الموظفين من بينها:**

١-**توفر القيادة الواعية** القادرة على الرؤية الصحيحة وتحليل المواقف وفق البوصلة الرئيسية وهى تحقيق الهدف الأساسى من الحركة دون الميل إلى ما عداها من أهداف مرحلية ومؤقتة وممارسة الديمقراطية النقابية فى الوصول إلى القرارات.

٢-**القيادة الجماعية** التى تأكدت واكتسبت شرعيتها من خلال قيادة الاحتجاجات على المستوى المركزى وهى اللجنة العليا للإضراب.

٣-استخدام **الأساليب الديمقراطية السلمية** فى الحركة بوعى كامل وعدم الاستجابة لأى استفزازات فى طريق الكفاح من أجل تحقيق الأهداف.

٤-**التحليل السليم لقوى** المجتمع وفرزها بشكل دقيق بين قوى صديقة وقوى معادية وفرض قوانين الحركة طبقا لرؤية القيادة على القوى الصديقة وتجنب جميع الافخاخ التى نصبتها القوى المعادية لتضليل الحركة عن المسار السليم.

٥-بناء وعى جماهير موظفى الضرائب العقارية على أساس عدالة المطالب وبناء قدرات القيادات التى تم اكتشافها من خلال الحركة واكتساب الجميع خبرات التعامل طبقا للإمكانيات المتاحة مع المواقف الصعبة والقوى المحلية فى كل محافظة.

٦-**بناء شبكة اتصال يومى** وعبر اليوم للتأكيد على الحركة والحشد وجوده التنظيم.

٧-تحييد أجهزة وقوات الأمن تجاه الحركة بعد طبعها بالطابع السلمى من أول لحظة.

٨-الاستفادة من الإمكانيات الهائلة فى الانتشار الجغرافى والتراكم اليومى للصحافة الخاصة والحزبية والقنوات الفضائية الخاصة للوصول إلى جميع العاملين فى المناطق النائية واكتساب عطف المجتمع وقواه إلى جانب الحركة.

بند ٣ لقد جسدت حركة موفظوا الضرائب العقارية الديمقراطية على أرض الاعتصام حيث التصويت المباشر وبطريقة أقرب لما عرفته الديمقراطية اليونانية فى أسبرطه وأثينا حيث الاحتكام إلى الموظفين والعمال مباشرة دون وكلاء أو نواب أو وسطاء، ومارسوا الديمقراطية فى الشارع عل مقربة من مجلس الشعب والشورى، وكشفوا بذلك مدى زيف دعاوى الديمقراطية التى ترفع فى هذه المجالس.

٩-اختفاء اللون السياسى فى الحركة وظهر فقط الثوب النقابى المطالب بحقوق العاملين، كما أن نسبة العاملين المنتمين لاتجاهات سياسية كان ضئيلاً ولا يقاس بالعدد الضخم الذى شارك فى الحركة بل سخر الجميع إمكانياتهم السياسية فى انتصار العامل النقابى ولم يكن هناك أى دور للأحزاب أو الحركات السياسية (مثل جماعة الإخوان المسلمين) أو غيرهم، غير أن الحركة التضامنية مع موظفى وعمال الضرائب العقارية اتسع نطاقها بطول وعرض الوطن وقد شملت الجميع من أحزاب وحركات سياسية ومنظمات مجتمع مدنى ومراكز حقوقية وأعضاء مجلس شعب وشورى وكان المحور الأساسى لحركة الضرائب العقارية هو التمويل الذاتى من زملائهم الذين أرسلوا إلى أرض الاعتصام الطعام والمؤن من كافة المحافظات عبر الوفود المتضمنة لأرض الاعتصام ولهذا انتظم الصمود واستمر وهذا لا ينفى مساهمات الشرفاء وسكان الشارع ذاته الذى ضرب أحد سكانه المثل بتأجيل الحج وإنفاقه المبلغ على الاعتصام (الحاج حيدر) ومع ذلك ظل كل هذا إضافياً للدعم الوارد من الزملاء أنفسهم.

١٠-كان للمرأة دور مهم وبارز فى الحركة الاحتجاجية لموظفى الضرائب العقارية سواء فى القيادة أو الهتافات أو الترتيب للحشد والقدرة على إقناع الزملاء والزميلات والمشاركة فى كافة الوقفات الاحتجاجية بالمحافظات والمسيرة الكبرى من وزارة المالية إلى مجلس الوزراء واعتصام الاتحاد العام للعمال والمشاركة فى المبيت وليس هذا غريباً على المرأة المصرية فهى التى يقع عليها عبء مواجهة نار الأسعار يومياً سواء أكانت عاملة أو غير عاملة، وكل ما يقوم به الرجال هو إعطاء زوجاتهم الميزانية الشهرية للبيت وعليها تدبير الحياة المعيشية للأسرة وكذلك موقفها كان أشد من الرجل، وقد انعكس موقفها المتشدد على زوجها، ولأنه موقف أصيل لديها اقتنع زوجها فكان الزوج الذى يعد الطعام لزوجته ويحضره إلى مقر الاعتصام، وكان الزوج الذى يقوم بالاتصال بزوجته عن طريق الهاتف فتوصله بقائد الاعتصاد (كمال أبو عيطة) فكان يطمئن أنها فى حماية إخوتها بمقر الاعتصام، وكان هناك الزوج الذى يصاحب زوجته فى مقر الاعتصام اقتناعاً بوجهة نظرها، ولأن المطالب كانت عادلة وتنبع من قيم العدالة والمساواة فقد اقتنع بها المجتمع والازواج فسمحوا لزوجاتهم بالمشاركة فى الوقفات الاحتجاجية والإقامة بمقر الاعتصام.

١١-نجحت حركة الضرائب العقارية ولا يقلل من شأن نجاحها أن معظمهم من الموظفين حيث ينظر البعض إليهم باعتبارهم جزء من الطبقة الوسطى وهو مفهوم تقليدى عفا عليه الزمن ويحتاج إلى إعادة صياغة للمفاهيم الطبقية حيث يتمتع عمال الإنتاج بالمصانع بدخول أكبر من زملائهم فى الضرائب العقارية قبل الاعتصام الذين يأتون فى أخر السلم الطبقى. إن كل من يعمل بأجر لدى صاحب عمل هو جزء من الطبقة العاملة وبهذا لا يمكن أن ندرج موظفى وعمال الضرائب العقارية ضمن الطبقة الوسطى وإذا كانوا قد حققوا هذا النجاح فذلك يرجع لأسباب كثيرة ذكرناها وفشل غيرهم يعود لأسباب ذاتية لديه.

١٢-أخذ قادة الحركة بكل أسباب النجاح ولم يتركوا أيه وسيلة تساعدهم على تحقيق أهدافهم إلا وقاموا بالاستفادة منها ومن بين ذلك تنظيمهم دورة سريعة لاكتساب خبرة المفاوضة من خلال دوره استغرقت عشر دقائق عن أسلوب تكوين الوفود ودور كل عضو بالوفد وسقف المطالب، وعدم التحدث إلا عندما يطلب رئيس الوفد ذلك، وعدم إبداء أى رأى على ما يطرح من اقتراحات إلا بعد العودة إلى الزملاء إلى آخر فنون وأساليب المفاوضة وذلك كله فى مقر الاعتصام بشارع حسين حجازى.

طريق الاستقلال النقابى

لم يتحقق لأى حركة مثلما تحقق لحركة موظفى الضرائب العقارية فبعد أن مارس العمال خلال الحركة كل أشكال تمثيل المصالح من تنظيم وحشد وبناء أكبر كتلة منظمة والحصول على تفويضها بعرض مطالب الموظفين وتمثيلهم فى المفاوضات اليومية الشاقة وفقدانهم الثقة فى التنظيم النقابى الموالى للحكومة واكتشافهم أنهم من خلال الحركة امتلكوا قياداتهم على مستوى المحافظات وعلى المستوى العام للضرائب العقارية وأنهم بالفعل قاموا ببناء هيكل تنظيمى حقيقى مستقل وديمقراطى يمارس الديمقراطية النقابية بأسمى معانيها ووجود مندوبين حتى مستوى المأموريات فى المستوى القاعدى خطا موظفو الضرائب العقارية "إنها حقاً الخطوة الأولى فى طريق الألف ميل" وكانت ضربة البداية.

انطلق العاملون فى جمع التفويضات اللازمة لإنشاء النقابة وفوضوا زميلهم كمال أبو عيطة فى اتخاذ إجراءات التأسيس وجمعوا ٢٧ ألف تفويض وبدأوا فى اتخاذ إجراءات التأسيس عبر تحرير استمارات العضوية للنقابة وما إن وصل العدد ٢٧ ألف استمارة حتى قام العاملون بالتوجه إلى وزارة القوى العاملة وقابلوا الوزيرة وقاموا بإيداع أوراقهم بالجهة الإداري حيث ينص القانون "تثبت الشخصية

الاعتبارية للمنظمة النقابية بإيداع الأوراق" حيث تم ذلك فى ٢٠٠٩/٤/٢١ وفى يوم ٢٠٠٩/٥/٢٠ انتهت مهلة الثلاثون يوماً التى حددها القانون لإبداء أى ملاحظات أو اعتراضات وبهذا أصبحت نقابة الضرائب العقارية نقابة رسمية استمدت شرعيتها من الدستور المصرى المادة ٥٦، ومن القانون ٣٥ لسنة ١٩٧٦ (وهو ذات القانون الذى نرفضه) وكذلك من أحكام المحكمة الدستورية التى تؤكد حرية إنشاء النقابات دون وصاية والاتفاقيات الدولية التى وقعت عليها مصر وقبل هذا وبعده قرار الجمعية العمومية للعاملين بالضرائب العقارية.

obeikandl.com